فريق موقع الآجري للتفريغ

سلسلة تفريغات "الثالثة"

(٣٥)

شَرحُ

كِتَــابِ الكَبَــــائِرِ وَتَبْيِينِ الْمَحَارِمِ

تَأْلِيف

الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِاللهِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ بنِ عُثْمَانَ بنِ قَايْمَازَ الذَّهَبِيِّ

٦٦٣-٧٤٨ هـ

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الكَبِيرَةُ الثَّالِثَة والثَّلاثُون: الرِّيَاءُ وَهُوَ مِنَ النِّفَاقِ

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

[أشرطة مفرغة]

بسم الله الرّحمـٰن الرحيم

[المتن]

الكَبِيرَةُ الثَّالِثَة والثَّلاثُون:

الرِّيَاءُ وَهُوَ مِنَ النّفَاقِ

قَالَ اللهُ –تَعَالَى– عن المنافقين : ﴿يرَآءونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[النساء:١٤٢].

[الشرح]

فالرياء كبيرة من الكبائر وهو من النفاق وهو من خصال المنافقين كما قال الله –تعالى– في وصف المنافقين: ﴿يرَآءُونَ النَّاسَ﴾ و "**الرياء**" يُظْهِر الإنسان من العمل ما لا يُبطن، يُظهر الصلاح ويُبطن الفساد، يُظهر الإخلاص ويُبطن خلاف ذلك، والمراءاة هي أن يُرِي الناس بأعينهم ما ليس حقيقتُه قائمةً في نفسه، يعني ما ليس له حقيقة قائمة في نفسه، فهـٰذا هو الرياء.

والرياء نوعان:

رياء خالص ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءونَ﴾[البقرة:١٤]، ﴿إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾[المنافقون:١]، ففي رياء خالص فهـٰذا صاحبه كافر، من المنافقين الذين هم في الدَّرْك الأسفل من النار.

والنوع الثاني: يسير الرياء صاحبه مخلص لكن أحيانا وفي بعض الأعمال يخالط عمله رياء ،يزين عملا صالح لرؤية أحد له كما قال –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: «**إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفي: يقوم الرجل فيُزيِّن صلاته لِما يرى من نظر الرَّجل**» يعني يزيِّن عمله لكون أحدا رآه، فهذا يسير الرياء، وليس محبطا للأعمال كلّها ناقلا من الملّة ، ولكنه محبط للعمل الذي قام فيه لا يقبله الله –تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ– منه.

[المتن]

وقَالَ –تَعَالَى–: ﴿...كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ﴾[البقرة:٢٦٤] الآية.

[الشرح]

هذا مثال من أمثلة الرياء **"الرياء في النفقة"** ينفق يعني مالا يعطيه للفقراء والمحاويج رياءً ليس طلبا لثواب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- والله لا يقبل العمل ،النفقة أو غيره إلا إذا كان خالصا لوجه الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ ــ .

[المتن]

وَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ اللهُ نِعَمَتَهُ فَعَرفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ اللهُ نِعَمَتَهُ، فَعَرفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ .ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهِ لَكَ، قَالَ:كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ سُحِبَ إلى النَّارِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

[الشرح]

ثم أورد المصنف ــ رحمه الله ــ هذا الحديث في بيان كبيرة الرياء ، والرياء يكون في كل الأعمال الصالحة، يكون في الجهاد ويكون في الصلاة ويكون في طلب العلم ويكون في الإنفاق والبذل، يكون في الأعمال الصالحة، فمن عمل عملا صالحا ليقال عنه أي ليُثنى عليه وليُمدح وليُطرى عند الناس فإنه لا يُحصِّل عند الله شيئا، لأنه لم يعمل لله، ولا يقبل الله العمل إلا إذا كان له ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾[الإسراء:١٩] فإذا كانت لله وقدَّم العمل متقرِّبا به إلى الله كان في صالح عمله، أما إذا قدَّم العمل للنّاس فإنه يُحصِّل ما عند الناس بأن يقولوا: فلان جريء، فلان عالم، فلان منفق. وتنتهي بموته، تنتهي هذه الأمور بموته ، و لا يجد عليها ثوابا يوم القيامة بل إنه يُسحب إلى النار كما جاء في الحديث: «فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ» لأنه لم يتقرّب بهذه الأعمال

لله، وهي أعمال لا يُتقرّب بها إلاّ إلى لله ،و لكنه فعلها ليُمدح و ليُثنى عليه، و ليقال عنه جريء، أو يقال عنه عالم أو ليقال عنه مجاهد أو يقال عنه منفق أو نحو ذلك.

فالشاهد أن الحديث دليل على أن الرياء من الكبائر وذلك للوعيد لفاعله بأنه يوم القيامة يُسحب على وجهه حتى يلقى في النار، نسأل الله –جلّ و علا– العافية والسّلامة.

[المتن]

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ –رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُمَا– أَنَّ أُنَاسًا قَالُوْا لَه: "إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى أُمَرَائِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلافِ مَا نَتَكَلَّمُ به إِنْ خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ." قَالَ ابْنُ عُمَرَ: "كُنَّا نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

[الشرح]

ثم أورد الإمام الذهبي –رحمه الله– هـٰذا الحديث لبيان وجه من وجوه المراءاة أن يتظاهر الإنسان بأقوال أو أشياء من هـٰذا القبيل في مقام من المقامات ثم لا يكون عليه في مقام آخر ، فيكون يتزين لما يرى، يتزين بالصلاح يتزين بالتُّقى، يتزين بنحو ذلك لما يرى من نظر الرجل إليه، سواء أمير أو وزير أو غير ذلك ثم لا يكون في معتاد وقته كذلك، فيقول ابن عمر: «**كُنَّا نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–**».

[المتن]

وَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[الشرح]

ثم ذكر هـٰذا الحديث في خطورة الرياء و عقوبة المرائي والعقوبة من جنس العمل « **مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ** »أي أن الله –عزَّ و جلَّ– يفضحه يوم القيامة ،و كذلك المرائي والمسَمِّع ،"**المسمِّع**" هو الذي يُسمِّع بعمله يُسمِّع الناس بعمله ، و المرائي الذي يُرِي الناس عملَه، المسمّع هو الذي يسمّع بعمله أن الذي كذا وكذا وأنا الذي كذا ، فيذكر أعماله للناس جلبا للمدح أو جلبا للثناء، والمرائي هو الذي يرائي أي يري الناس عمله والعقوبة من جنس العمل «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ ، وَمَنْ رَاءَى يُرَائِي اللَّهُ بِهِ**».

[المتن]

وَعَنْ مُعَاذٍ –رضي الله تعالى عنه– عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «اليَسِيرُ مِنَ الرِّيَـــاءِ شِرْكٌ» صَحَّحَهُ الحَاكِمُ.

[الشرح]

«اليَسِيرُ مِنَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ» يعني شرك أصغر، والرياء الخالص شرك أكبر ناقل من الملّة ، أمّا اليســـير من الرياء فهو شرك أصغر لا ينتقل به صاحبه من الملَّة، والنبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أرشد إلى دعوة نافعة في هـــٰذا الباب لأنّ الإنسان يحتاج إلى مُجاهدة تامّة للخلاص من الرياء والسمعة، يحتـــاج إلى مجاهدة، وقد تغلبه نفسه في مقامات ومقامات ، فأرشد النبي –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– الصـــحابة إلى دعاء نافع في هـــٰذا الباب وهو في الأدب المفرد للبخاري وغيره بسند ثابت أن النبي –صلّى الله عليه سلّم– قال : «الشّرك فيكم أخفى من دبيب النّمل، ألا أدلكم على شيء إذا قلتموه أذهب عنكم قليل الشرك وكثيره». قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «اللّهمّ إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلـــم وأستغفرك لما لا أعلم»؛ لأنه قد يتسلل إلى نفس الإنسان أشياء خفية تدخل إلى قلبه ولا يشعر بهـــا، فالمواظبة على هذا الدعاء نافع جدا ومفيد للمسلم، كما أرشد إلى ذلك رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «اللّهمّ إنـــّي أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم».

۞۞۞۞